



تأويل يوسف عليه السلام لرؤيا السجينين والملك

04 برنامج أمل وانتصار

الدرس التاسع : شرح الآيات 40 - 49

2020-12-26

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَعَلَى صَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ أَمْنَاءَ دَعْوَتِهِ وَقَادَةَ أَلْوِيَّتِهِ وَارْضَ عَنَّا وَعَنْهُمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَارْزُقْنَا مَا نَحْتَاجُهُ، وَأَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَبَعْدُ: مع اللقاء التاسع من لقاءات سورة يوسف ومع الآية الواحدة والأربعين وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ حَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطُّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۚ فَصَيِّ الْأُمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41)

(سورة يوسف)

قدرة يوسف عليه السلام على تأويل الرؤيا

صاحب السجن دخلا مع يوسف السجن، رأيا من إحسانه في السجن ما رأيا، فلما رأيا رؤية منامية ذهبا إليه ليؤول لهما الرؤيا، أي ينيهما بما يكون في مآلهما، إلى أين تصل هذه الرؤيا؟ يوسف عليه السلام نبي وصاحب حكمه وذكاء، فاستنمر الموقف، طمأنهما أولا أنه يستطيع تأويل الرؤيا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْرَقَانِيهِ إِلَّا نَبَآئِكُمَا يَتَّبِعُ (37)

(سورة يوسف)

أستطيع أن أنبئكما بما يأتيكما من طعام، فلأن أكون قادراً على تأويل رؤياكما من باب أولي، لأن الرؤيا لها مركزات سائر تركز عليها في التأويل، أما الطعام فليس له مركزات، سأنبئكم بشيء من الغيب لكن بما أطلعني الله عليه مما علمني ربي.. بعد أن طمانهما بدأ باستثمار الموقف في دعوتهما إلى التوحيد، إلى ما يبقى، إلى ما يدوم، الرؤيا ستكون في الدنيا والدنيا فانية، لكنه خشي على مصيرهما أمام الله عز وجل، فاستثمر الموقف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39)

(سورة يوسف)

ونفى الشرك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْخُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ (40)

(سورة يوسف)



تُعلمنا القرآن الكريم ألا نواجه الآخرين بالشكر

الآن بدأ بتأويل الرؤيا، قال: (يا صاحبي السجن أَمَا آخِذُكُمْ فَتَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُضَلُّ فَتَأْكُلُ الْمَلِئَةُ مِنْ رَأْسِهِ) لم يذكر لهما من هذا الأول ومن الثاني، وهذا من أدب الإنسان ألا يواجه الآخرين بالشكر، أحدهم سيأخذ بشري، والبشري تقتضي أنه سيخرج من السجن وسيعود إلى القصر وإلى عمله في سقاية سيده الخمر، هذه بشري لأنه سينجو.. الثاني سيقتل لكن يوسف عليه السلام يأدبه العالي يُعلمنا القرآن الكريم ألا نواجه الآخرين بالشكر، فلذلك قال: (أَمَا آخِذُكُمْ) الآن هو وحده سيفهم لأن الأول رأى في منامه أنه يعصرُ خمرًا إذاً هو الذي سيسقي ربه خمرًا، والثاني رأى في منامه أن الطير تأكل من رأسه إذاً هو الذي سيقتل ويُصلب فتأتي الطير فتتقر في رأسه وتأكل منه، فسيفهم كل منهما تأويل رؤياه دون أن يواجه الآخر بالشكر، وهذا من أدب المؤمن.

الحاكم يحكم بأمر الله تعالى

(أَمَا آخِذُكُمْ فَتَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا): لماذا سماه رباً؟ الرب هو السيد، هو الحاكم، إلهنا، وهم في هذا العصر كانوا يتخذون هؤلاء أرباباً من دون الله، يجعلون لهم إلهاً، وهذا من معاني الربوبية، لذلك ماذا قال لهم في الآية التي قبلها؟ قال: (إِنْ الْخُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) لماذا يُسمى ولي الأمر بالحاكم؟ لأنه يحكم بأمر الله، (إِنْ الْخُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) أنت مهمتك أيها الحاكم في الأرض أن تُنفذ حكم الله فقط، أنت ليس لك حكمٌ حتى على مستوى الأسرة، أنت أيها الأب تسمى رب الأسرة بمعنى أنك تُمدّها بما تحتاجه وهذا من معاني الربوبية، لكن هل لك حكمٌ في الأسرة؟ لا، أنت تحكم بأمر الله (إِنْ الْخُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) فالحاكمة لله تعالى، نحن ليس لنا حكمٌ في الأرض، بل تُنفذ مراد الله تعالى قدر المستطاع في الأرض، فلما قال لهم قبل قليل: (إِنْ الْخُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) الآن بإشارة خفية قال: يسقي ربه خمرًا، لأنه يتخذ ربا، عندما يتوجه إليه وعندما يرى أن الحكم له وأنه لا بد من طاعته لأنه هو الحاكم، وهو المتصرف، وهو السيد، وهو المُطاع، فهو يتخذ ربا؛

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اتَّخَذُوا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ (31)

(سورة التوبة)



الرب هو الله

لا ينبغي أن تتخذ حاكماً، ولا شيخاً، ولا عالماً، ولا راهباً، رباً من دون الله، الرب هو الله، هو الحاكم، وهو السيد، وهو الذي يُطاع، والناس في الأرض تُطيعهم بقدر التزامهم بأمر الله، لذلك لا يجوز للإنسان أن يُطيع والديه اللذين كانا سبباً في وجوده في الأرض، وهما أحق الناس ببره وطاعته، لا يجوز أن يُطيعهما في معصية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا (15)

(سورة لقمان)

لأن الحكم لله، ونحن نُنفذ حكم الله في الأرض، فنُطيع الآخرين بقدر ما يلتزمون بحكم الله تعالى فينا، ومن هنا فهم سيدنا أبو بكر هذا المعادلة وهو الصديق رضي الله عنه فلما ولي الخلافة قال:

هذا معني أن الحكم لله، وأن الحاكم سواء كان له ولاية عامة في البلد أو كان حاكماً على أسرق أو على مجتمع صغير أو على شركة فإنما مهمته أن يحكم بحكم الله تعالى (إِنْ **الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**)، فهذا الرجل سينجو وسيخرج من السجن وسيعود إلى سقاية سيده الخمر، (وَأَمَّا **الْأَخَرُ فَيُصَلَّبُ**) سَيُقْتَلُ (فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ) كما رأى في منامه أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه.

بين القضاء والقدر

ثم يقول يوسف عليه السلام: (فُصِّلَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) أي هذا هو الحق الذي تأتي به هذه الرؤيا (فُصِّلَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ)، لكن لو ذهبنا إلى معنى القضاء، القضاء في الأصل له عدة معاني لكن من أشهر معاني القضاء الحكم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ (23)

(سورة الإسراء)

قضاء الله هو حكمه، يقضي الله في الأمر أي يحكم فيه، والقاضي سمي قاضياً لأنه يحكم بين المتخاصمين، فالقضاء هو الحكم، ما الفرق بين القضاء والقدر؟ بعض العلماء قالوا: هما مترادفان لكن أنا لا أؤيد الترادف لا سيما أن لهما جذرين مختلفين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)

(سورة القمر)



القضاء قضاء الله تعالى يرده الدعاء

هناك قدرٌ وهناك قضاء، والبعض مُميز بينهما، أرجح تمييز بينهما وأراه هو الأنسب والذي يتناسب مع هذه الآية وغيرها من الآيات هو أن القضاء ما كان في علم الله تعالى، ما قضاؤه الله تعالى سابقاً في علمه الغيبي، في علمه الكشفي جلّ جلاله، والقدر هو تحقق هذا القضاء في تفاصيله على الأرض، فلما قال لهما هنا: **(قُضِيَ الْأَمْرُ)** أي هذا في قضاء الله أصبح حكماً لكن بقي تنفيذه على الأرض وهو القدر، بقي وقوعه وهو القدر، متى أصبح هذا القضاء قدراً؟ عندما نجا الأول وعاد إلى القصر يسقي ربه خمراً، وعندما قتل الثاني فأصبحت الطير تأكل رأسه وقع القدر، والقدر لا يرد، لا راد لقدر الله، لكن القضاء قضاء الله تعالى يرده الدعاء كما صَحَّ في الأحاديث، فإذا كان هناك قضاء قضاؤه الله عليك أنك ستمرض لا قدر الله، ثم دعوت الله عزّ وجلّ بالشفاء، فقضى الله قضاءً جديداً جلّ جلاله أن يُبعد عنك هذا المرض، قضاء الله قد يردّه قضاءً آخر.. قضى الله على فلانٍ من الناس أن يقع معه حادث سير في اليوم الغلاني، هذا الرجل تعلم آداب الخروج من البيت وآداب الدعاء فخرج من البيت ودعا الله عزّ وجلّ أن يصرف عنه السوء، فقضى الله عزّ وجلّ صرفَ هذا السوء عنه، أما القدر فإذا وقع قد انتهى الأمر لأنه وقع، فهذا هو القضاء والقدر، والله أعلم، طبعاً هناك تحليلات كثيرة للعلماء في المسألة لكن أنا اجترت ما أحده أقرب إلى الفهم البسيط، **(قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ)** يعني هذا الأمر أصبح قضاءً، وقضاء الله لازم إلا أن قضاء الله لازم قد يردّه قضاءً لازماً آخر، هذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم قال له أبو عبيدة: أتفرّ من قضاء الله؟ - الطاعون- ما أراد عمر أن يدخل بلدة فيها طاعون، قال: أتفرّ من قضاء الله؟ قال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، إنما نفرّ من قضاء الله إلى قضاء الله، نحن لن نخرج عن قضائه جلّ جلاله لكن كما أنه قضى المرض قضى الشفاء، فالشفاء قضاؤه والمرض قضاؤه، فنحن نفرّ من قضاءٍ إلى قضاء، لا نخرج عن قضاء الله، لكن متى وقع الأمر أصبح قدراً وانتهى الأمر، فهذا قال: **(قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ)**.

شرح معنى الظن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42)

(سورة يوسف)

(وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا) أي الساقى، كما نفهم من سياق الآيات، الساقى هو الذي سينجو، **(وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ)** ظنّ هل هي للظن أم لليقين؟ الظن يأتي في اللغة بمعنى اليقين كقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ يَطْلُبُونَ أَرْهَامَ مُلَاقٍ رَبِّهِمْ (46)

(سورة البقرة)



أصل الظن هو شيء فوق الشك

أي يتيقنون **(أَنَّهُمْ مُّلاَقَو رَّبَّهُمْ)** لكن أصل الظن هو شيء فوق الشك، الشك خمسون بالمئة يستوي فيه الطرفان، خمسون بالمئة وقوع، وخمسون بالمئة عدم وقوع، يستوي الطرفان في الشك، الظن يأتي بعد الشك، عندما يظن الإنسان نقول: إن ظنه تقريباً سبعون بالمئة، فإذا أصبح غلبة ظنّ أصبح تسعين بالمئة، اليقين مئة بالمئة، هنا هل جاء الظن على حقيقته أم على اليقين؟ قال بعض العلماء: بل على اليقين لأنه كان متيقناً وقال: **(فُضِي الأَمْرُ)** يعني هو متيقن من وقوع هذا الأمر، وقال بعضهم: بل على حقيقته وهو الظن، والذي يترجح والله أعلم أنه على حقيقته، لأن يوسف عليه السلام ينطق بما علمه الله إياه لكنه لا يتيقن من وقوع الأمر لأن هذا الشيء في علم الله عز وجل، وهذا من أدب الأنبياء، **(لِذِي ظَنُّ أَنَّهُ تَاجٌ مُّهِمًّا)** يعني هو مازال في مرحلة الظن لعل الله عز وجل يقضي شيئاً آخر، وكما قلنا: الله تعالى يقضي ما يشاء ويحكم ما يشاء جلّ جلاله، **(وَقَالَ لِذِي ظَنُّ أَنَّهُ تَاجٌ مُّهِمًّا)** إذا مازلنا في الظن هي رؤيا وأولها يوسف، أولها بما علمه الله إياه، لكنها تبقى في الظن حتى تقع فتصبح قدراً وهو القطع الذي لا رادّ له.

الذكر في الأصل هو حضور شيء موجود في البال أصلاً

إذاً: **(وَقَالَ لِذِي ظَنُّ أَنَّهُ تَاجٌ مُّهِمًّا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)** عِنْدَ رَبِّكَ أي عند سيدك، **(اِذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)** الذكر في الأصل هو حضور شيء موجود في البال أصلاً، فعندما تذكر شيئاً هو يكون موجوداً في الأصل في ذاكرتك، تذكره بمعنى أنك تستحضره، تأتي به من مكان بعيد إلى بؤرة الاهتمام، هذا الذكر هو تذكر شيء موجود، من هنا نقول: ذكر الله، الله عز وجل موجود في قلب كل مسلم في فطرة كل مسلم، في عقيدة كل إنسان موجود، حتى غير المسلم، لأن الله عز وجل هو الخالق جلّ جلاله فهو موجود في داخل كل إنسان، أن الله موجود وواحد وكامل، فعندما نقول: يذكر الله وكأنه يستحضر هذا الأمر ويحضره إلى بؤرة اهتمامه، هذا معنى الذكر.

سأضرب مثلاً: بحيرة ماء راكد، ألقيت فيها حجراً صغيراً ما الذي يحصل؟ دوائر، دوائر، الحجر في البؤرة والدوائر تتباعد إلى الحواشي، فأنت عندما بأنتيك خاطئ جديد تبدأ الخواطر القديمة بشكل طبيعي تذهب إلى الحواشي، والذكر يعني أن تستحضر هذه الخواطر القديمة وتعيدها إلى بؤرة الشعور، هذا الذكر، فقال: **(اِذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)** يعني اجعل الأمر في البؤرة، لا تئسني، تذكرني، لأن الأيام تسيي، سيخرج بعد حين وسيخرج بالخروج ويفرح بأهله ويبدأ بعمله وينسى يوسف **(اِذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)**.



المؤمن يبقى قلبه معلقاً بالله

قال: **(فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ)** هنا البعض قال **(فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ)** أي أنسى الشيطان يوسف ذكراً لأنه ذكر غير الله، الذي يترجح والله أعلم من سياق الكلام **(فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ)** أي فأنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف عند ربه **(فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ)**، الآن هناك شيء أدق وأعمق: لو أن فلاناً من الناس كان في السجن، وحصل معه هذا الموقف وهو بريء لكنه أودع في السجن ظلماً وعدواناً وحصل معه هذا الموقف إنسان سيخرج من السجن، فقال له: يا فلان اذكر ما رأيت من إحصائي ومن الخير الذي عندي عند القاضي لعله يُعَدِّ النظر في مسألتي ويخرجني من السجن، هل هذا حرام؟ ليس حراماً، هذا من اتخاذ الأسباب، الإنسان يتعلق بالأسباب لكن المؤمن يبقى قلبه معلقاً بالله، لا ينظر إلى أن الإفراج عنه سيتم عن طريق فلان وإنما الله هو الذي سيتولى الأمر، لكن هو اتخذ سبباً من الأسباب هذا ليس فيه حرمة، لكن يوسف عليه السلام تحديداً هو نبي من أنبياء الله يتلقى عن الله فوراً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ذُلُّكُمْ وَمَا عَلَّمْنِي رَبِّي (37)

(سورة يوسف)

هناك عبورٌ مجازيٌّ أن تنتقل من شيء مجهول إلى شيء معلوم هذا يدخل تحته الغيرة والغيرة والعبارة ويدخل تحته تعبير الرؤى، (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) أي إن كنتم تستطيعون أن تنقلوني من حالة المجهول - لا أدري ماذا أرى - (سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ) و(سَبْعَ عَجَافٍ) (وَسَبْعَ شَبَلَاتٍ خَضِرٍ وَأَخْزٍ تَابِثَاتٍ) شيء غير مفهوم، فهل يمكن أن تنقلوني من المجهول إلى المعلوم؟ أن تعبّروا بي من حالة الترقب والخوف إلى حالة الاطمئنان، هذا هو العبور، انظروا إلى دقة اللغة العربية، هذا عبور، سيعبرون به، فسمي تعبير الرؤى تعبيراً، لكن يوسف عليه السلام سماه تأويلاً، التأويل أعمق من التعبير، لأن التأويل يعطيهم ما سيقع، ما سيؤول إليه الأمر، ما سينتهي إليه الأمر فيوسف سماها تأويلاً، الملك سماها تعبيراً، اعبروا بي من المجهول إلى المعلوم، (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ).

أصغاث الأحلام هي الأشياء المتداخلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا أَصْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (44)

(سورة يوسف)

(قَالُوا) الملأ الذين حوله، (أَصْغَاثُ أَحْلَامٍ) أصغاث أي أخلاط، شيء مختلط من الأحلام، وهو ما يراه الإنسان في نومه، (أَصْغَاثُ) مفرد لها صغث، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأُخَذَ بِيَدِكَ صِغَةً قَاصِرَةً يَوْمَ لَا تُخْتَلَفُ (44)

(سورة ص)

الصغث: هو حزمه من الحشائش المختلفة، فلما اختلطت أصبحت أصغاثاً، أصغاث أحلام يعني أمورٌ مختلطة لا علم لنا بها، والإنسان عندما يرى في منامه قد يرى الرؤيا التي تأتي واضحة فيحدثك عنها، شيء واضح جداً يرى رؤيا، يقول لك: رأيت فلاناً يفعل كذا، كذا، وتشعر أن هذه الرؤيا هي رسالة لها معنى، وقد يرى أشياء متداخلة تسمى (أَصْغَاثُ أَحْلَامٍ) اختلطت علي الأمور، وجدت نفسي أصدق في الهواء وأنزل إلى الأرض، وأحياناً يكون ما يراه الإنسان في المنام حديث النفس، فيكون في المساء يدرس للامتحان وينام على ذلك فيرى نفسه في قاعة الامتحان هذا حديث نفس، أو يكون عطشان وينام فيرى نفسه في شلالات المياه العذبة والأنهار هذا بسبب شدة عطشه، فهناك حديث نفس، وهناك (أَصْغَاثُ أَحْلَامٍ) يعني استعذ بالله منها واتركها، وهناك رؤيا واضحة من الله أسأل عن تعبيرها أهل العلم والفصل أو ما يقع في قلبك أنه تعبير لها ولا تبني عليها حكماً، إذ ليس عندك يوسف ليبنى لك أحكاماً! أنت إنسان عادي خذ الرؤيا واستبشر بها خيراً دون أن تبني عليها أحكاماً.



نصف العلم لا أدري

(قَالُوا أَصْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ) جميل جداً، موقفهم جميل أنهم قالوا: لا ندري، وقد قيل: "من قال لا أدري فقد أفتني"، لماذا أفتني؟ لأنك لما سألتهم فقال لك: لا أدري، وكأنه يقول لك ضمناً: اذهب إلى غيري فاسأله، لكن لو أنه أجابك بغير علم لأغلق عليك الباب وأصبح الجهل عندك جهلاً مركباً فأنت تعلم بخلاف الحق، فالذي يقول لا أدري يخدمك لأنه يُفتيك، لأنه حولك إلى غيره ليفتيك، فقالوا: "من قال لا أدري فقد أفتني"، والإمام مالك لما جاؤوه بمجموعة أسئلة أجاب عن بعضها واعتذر عن الآخر، قالوا: الإمام مالك لا يدري! قال: ارجعوا لهم فقولوا الإمام مالك لا يدري، وقالوا: نصف العلم لا أدري، فمن قال لا أعلم فهذا من العلم، ومن قال أعلم كل شيء فهذا من الجهل، (وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ).

لكل عصر لغته ولسانه والرسول يأتي بلسان قومه

الآن: أريد أن أعقب على شيء، يبدو أن هذا العصر هو عصر له علاقة كبيرة بموضوع الرؤى والأحلام، أولاً يوسف في بداية القصة رأى رؤيا فقصّها على والديه فكانت سبب إلقائه في الجب، ثم صاحب السجن رآها وقصّها على يوسف فاولها لهما، والآن الملك يرى رؤيا ويطلب تعبيرها، هذا يذكرنا بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلْسَانٍ قَوْمِهِ (4)

(سورة إبراهيم)



فصاحة القرآن الكريم وبلاغته

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما جاء إلى قومه كانوا يُقيمون الأسواق للشعر العربي وللبلاغة واللفصاحة، فسمعوا القرآن فذهلوا بما سمعوا من فصاحة القرآن وبلاغته، فأصبح الواحد منهم يترصد ليسمع كلام الله، فجاءهم بمعجزة من جنس ما تفوقوا به، في عصر موسى عليه السلام تفوقوا بالسحر فجاءهم بالعصا وجاءهم بيده التي يسلكها في جيبه فتخرج بيضاء للناظرين، وفي عصر عيسى عليه السلام تفوقوا بالطلب فجعل يُحيي لهم الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، يبدو أنه في عصر يوسف كان موضوع الأحلام والمناجات والرؤى شائعاً، فيوسف عليه السلام أتاه الله هذه الملكة إن شئت فقل هي فك شيفرة الأحلام، يعطيهم الشيفرة الرئيسية في الحلم، فلكل عصر لغته ولسانه والرسول بلسان قومه.

ادَّكَرَ بمعنى دَكَرَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45)

(سورة يوسف)

(وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا): الساقط، (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ): ادَّكَرَ من دَكَرَ ودَّكَرَ بمعنى واحد، دَكَرَ، ودَّكَرَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (22)

(سورة القمر)

ادَّكَرَ: أصلها ادَّكَرَ، افعل، ادتكر، مثل اكتب، اعتمر، لكن الدال والتاء مخرجهما قريبان هذا اسمه الإبدال في الصرف، أبدلت التاء دالاً، فأصبحت ادَّكَرَ (ادَّكَرَ)، مثل ادَّخَر و(ادَّكَرَ) أصلها ادَّكَرَ، لكن هذه التاء تاء الافتعال من افعلت قريبة جداً من مخرج الدال فادغموها في الدال بعد أن حولت إلى دال، (ادَّكَرَ).

الأمة في القرآن الكريم

(وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ): بَعْدَ أُمَّةٍ أي بعد حينٍ من الزمن، وهذا يشبه قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَيْنُ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ (8)

(سورة هود)

يعني إلى أجلٍ محدد، والأمة تأتي في القرآن بمعنى المجموعة من الناس:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ (34)

(سورة الأعراف)

بمعنى المجموعة من الناس، وتأتي بمعنى الإمام في الخير والفضائل والأخلاق، أيضاً الجذر نفسه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً (120)

(سورة النحل)

إي أمة في الخير، تجتمع فيه خصال الخير جميعها فيقتدي الناس به، فيكون أمة، بقود أمة بأكملها، تلتقي المعاني مع بعضها، لكن هنا (أُمَّة) بمعنى حين من الزمن (وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ) هنا (أَذْكُرْ) تشير إلى أنه بذل جهداً في التذكر، لم يقل وذكر بعد أمة (أَذْكُرْ) للإشارة إلى أنه أخذ جهداً جعل يقول: يربط الأمور (وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ) هنا أيضاً نعود إلى الذكر تكلمنا أن الذكر هو استحضار شيء موجود في البال.

ذاكرة الإنسان نوعان

ذاكرة الإنسان نوعان ذاكرة تعريفية تحفظ، وذاكره استرجاعية، الذاكرة التعريفية: أنت الآن قد ترى شيئاً تسأل: ما هذا؟ أقول لك: هذا هاتف، تعرفت عليه، فالآن أصبح في الذاكرة، تدرس كتاباً تقرأه فتتعرف على المعلومات التي فيه فتدخل إلى الحفظ إلى الذاكرة، بعد حين كما قلنا بعد انتهاء الكتاب تخرج هذه المعلومات إلى الحواشي لا تعود في البؤرة.



الذاكرة الاسترجاعية هي استرجاع المعلومة

الآن لما يحصل شيء معين تقوم الذاكرة بدور جديد وهو استرجاع المعلومة السابقة، هذه تسمى الذاكرة الاسترجاعية، من هنا أحياناً بعض الطلاب يقلقون مساءً قبل الامتحان لعلمكم جميعاً حصلت معكم هذه القصة في الدراسة، تدرس وتدرس وتكون المادة كبيرة جداً تقول مساءً: كأي لا أحفظ شيئاً أحس نفسي غداً على ورقة الامتحان سأخذ علامة الصفر، فلما تجلس وترى الأسئلة تبدأ باسترجاع المعلومات وتكتبها على الورقة، ولو طلبت منك أن تقولها دون أن أحفر فيك استرجاعها لما استطعت، فأنت تعرفت عليها وحفظتها لكنها أودعت في ملفات قديمة فلا تستطيع استرجاعها إلا في أجواء محددة، وفي أسئلة واضحة فتسترجعها هذه اسمها الذاكرة الاسترجاعية، فهنا عند الساقية بدأت الذاكرة الاسترجاعية (وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ)، قال: (أَنَا أَنْتُنْكُمْ بَنَّاوِيلِ) لم يقل بتعبيره لأنه تعود من يوسف التأويل وهو أعمق من التعبير كما قلنا، فقال: (أَنَا أَنْتُنْكُمْ بَنَّاوِيلِ) يعني بما يؤول إليه الأمر وكيف سيقع، لأنه واثق من تعبير يوسف للرؤى فسمها تأويل، قال: (أَنَا أَنْتُنْكُمْ بَنَّاوِيلِ فَأَرْسِلُونِ) لكن لم يخبرهم من الذي سيؤول لكن أرسلوني لآتيكم بالخبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ أَفْتِنَا فِي سِنْعِ بَقَرَاتِ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سِنْعٌ عِجَافٌ وَسِنْعِ سُبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأَخْزَرَ بَابِيسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ
(46)

(سورة يوسف)

(يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ) انتقلنا من القصر إلى السجن، الساقى يخاطب يوسف، يقول له: (يُوسُفُ)، يعني يا يوسف وحذفت أداة النداء (يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ) لماذا سماه صديقاً؟ لأنه رأى من صدقه في الأقوال والأفعال والأحوال ما رأى يوم كان في السجن، صدقه في الأقوال لأنه واضح، كان سيدنا يوسف لا يكذب، صدق القول، القول المطابق للواقع، أما صدقه في الأفعال لأن أفعاله تأتي مطابقة لأقواله ليس عنده نفاقٌ عملي، الأفعال تطابق الأقوال، وأوضح شيء أنه قال له: إن الرؤيا ستقع ووقعت كما أخبره، فالصدق يكون في القول وفي الفعل وفي الحال، (يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ) والصديق مبالغة في الصدق يعني كثير الصدق.

(أَفْتِنَا فِي سِنْعِ بَقَرَاتِ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سِنْعٌ عِجَافٌ وَسِنْعِ سُبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأَخْزَرَ بَابِيسَاتٍ): لماذا أعاد القرآن الرؤيا ولم يقل أفتنا في الرؤيا؟ لسببين السبب الأول: ليؤكد لك أن الساقى قد نقل الرؤيا كما حصلت، والسبب الثاني ليأتي الجواب فوراً بعد السؤال لترتبط أنت الأمور ببعضها، فالتكرار هنا له معنى، أحياناً يكون الاختصار في ترك الإعادة، لكن هنا الإعادة لها أهمية وهي أنه سيؤول إلى الرؤيا فلا بد أن يكون التأويل بعد الرؤيا مباشرة حتى تربط أنت كل فقره بأختها، الأمر الثاني: حتى يؤكد لك أن الساقى قد نقل الرؤيا كما حصلت تماماً (سِنْعِ بَقَرَاتِ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سِنْعٌ عِجَافٌ وَسِنْعِ سُبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأَخْزَرَ بَابِيسَاتٍ).

(لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ): رجا أن أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ، (لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ): يرجوا أن يعلموا، لأنه لا يعلم ما تكون ردة فعلهم، قد يُقَرَّون بما جاء في التأويل، وقد يحتجون ويجادلون، وقد يُنكرون ويُرفضون التأويل كله (لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) يعني رجا أن يعلموا التأويل، الآن يوسف عليه السلام أجاب فوراً للرؤيا، يوسف محسنٌ لم يقل له: هؤلاء ظلموني وفعلوا الأفاعيل ارجع إليهم وقل لهم: يوسف ليس لكم عنده شيءٌ ولتذهبوا إلى الجحيم، مباشرةً أجابهم هذا الجواب، هذا المحسن، نفسه سخية، كريمة.

سنوات المواظبة والمثابرة في الرؤيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ تَزْرَعُونَ سِنْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (47)

(سورة يوسف)



حماية القمح ببقائه داخل سنبله

(قَالَ تَزْرَعُونَ سِنْعَ سِنِينَ دَأَبًا) دَأَبًا أي مواظبةً ومثابرةً، يجب أن تكون هذه السنوات السبع الزراعة فيها عملاً متواصلاً لا تكفون عنه، (فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ) انتركوا القمح في السنابل وقت الحصاد لحمايتها من التسوس والعوامل البيئية والقمح لا يُحمى إلا في سنبله، هذه حقيقة يعرفها المزارعون والمهندسون الزراعيون، القمح لا يُحمى إلا أن يبقى في داخل سنبله، والقمح كما تعلمون له قشره رقيقة تحيط به ومن أعاجيب البشر أنهم يلقونها للحيوانات أو في القمامة يأخذون اللب ويصنعون الخبز الأبيض، وإنما الصواب أن يجعلوا القشرة مع اللب ويطحنوه معاً فيخرج الخبز الأسمر الذي فيه كميةٌ كبيرةٌ من الإلياف تساعد على الهضم ولا نزعج المعدة، وفيه وعاءٌ آخر يحمله أيضاً له وعاءان فقال: (فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ) أي في أوعيته في حمايته، (فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ) يعني لا تأخذوا منه إلا القليل الذي يكفي لآكلكم والباقي دعوه في سنبله.

السنوات العجاف في الرؤيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَعِيدٌ يَأْكُلُ مِمَّا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُخْصِنُونَ (48)

(سورة يوسف)



كُلُّ عَمَلٍ تَفْعَلُهُ يَرْتَبِطُ بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ

قال: (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَعِيدٌ): شيداً: أي قاسية، سبع سنواتٍ قاسية شديدة عليكم، (يَأْكُلُ مِمَّا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) هذه السنوات ستأكل كل ما تركتم في السنايل لهذه الأعوام، هذه السنوات العجاف هي التي ستأكل بهذا المعنى، كيف العجاف ستأكل السمان؟ السنوات العجاف ستأكل كل (مِمَّا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) في سنوات الرخاء، هل السنوات هي التي تأكل أم البشر الذين يأكلون؟ البشر، لكن هذا من المجاز، لأن الفعل الذي تفعله يرتبط دائماً بالزمان والمكان، أنت الآن تكتب الزمان يوم السبت تاريخ كذا، والمكان هو هذه الغرفة، فكل عملٍ تفعله يرتبط بالزمان والمكان، فقد يُنسب الفعل في اللغة العربية للزمان أو للمكان، للمكان كقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا (82)

(سورة يوسف)

كما سيأتي بعد قليل في سورة يوسف، قالوا: (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ) قالوا لأبيهم، إخوة يوسف قالوا: (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) القرية لا تُسأل، أي أسأل البشر الموجودين في القرية، البشر الذين يكونون في هذه السنوات هم الذين سيأكلون هذه السنايل وهذا القمح.

أصل الحصن هو المنع

(يَأْكُلُ مِمَّا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُخْصِنُونَ) تُخْصِنُونَ: أي حتى يبقى شيء تمنعونه، هي سبع سنواتٍ وكلُّ سنةٍ تمنعون شيئاً حتى تكفي للسنوات، فتحصنون أي تمنعون ومنه الحصن لأنه يمنع الأعداء من الوصول إلينا فنقول نحن في حصن، ومنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ (24)

(سورة النساء)

لأنهن يمنعن الآخرين من الوصول إليهن بالسوء فهن محصنات.

أي منعت الزناة والعباد بالله والمعتدين من أن يطالوا من شرفها وعفتها وطهارتها، فأصل الحصن هو المنع، فقال: **(إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ)** أي مما تمنعون عنه الناس من أجل أن تحفظوه فما تدرون ما سيكون بعد ذلك.

الآن انتهت الرؤيا، سبع سنواتٍ رخاءٍ تُقدَّم فيها للعجاف التي ستأكل ما قدمته، هذه السنبلات الخضر والسنبلات اليابسات وسبع بقرات سمان وسبع بقرات عجاف، هنا انتهت الرؤيا.

من أدب المسؤول الزيادة على سؤال السائل

لكن يوسف عليه السلام زادهم بما علّمه الله، زاد السائل على سؤاله وهذا من أدب المسؤول إذا كان يعلم مزيداً أن يزيده، وهذا له في الحديث شاهدٌ عندما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر هل هو طاهر؟

{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَحْرِ: هُوَ الطَّهْرُ مَاؤُهُ، الْجِلُّ مَيْتُهُ }

(رَوَاهُ مَالِكٌ وَالسَّائِقِيُّ وَأَحْمَدُ)

هم لم يسألوه عن مية البحر وإنما سألوه عن طهارة ماء البحر، فزادهم، وهذا من أدب المسؤول إذا سأله الإنسان عن شيءٍ ويعلم غيره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49)

(سورة يوسف)

فزادهم فقال: **(ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ)** ولم يقل سنة لأن السنة تأتي غالباً مجدبة، أصابتنا سنةٌ يقولون ويسكتون، أصابتنا سنة، يعني سنةٌ مجدبةٌ صعبة، أما العام فغالبا ما يأتي للخير، فقال: **(ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ)** أي يأتي الغوث من الله فيغيثهم بالماء والخير والبركة.

العَصْرُ يكون في سنوات الجفاف والجذب



وَالْعَصْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الرِّخَاءِ

(وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) الإنسان عندما يكون في سنة جذب وشدة جفاف لا يعصر، بل يستخدم المواد على هيئتها الطبيعية لأن العصر عصر رفاهية، أما إذا كان ثمن كيلو البرتقال ديناراً فأنت لا تعصره، تقول: هذا للطعام نأكله مع أياقه كاملاً، ربما يأكله مع قشرته من شدة الفقر لا يذهب بشيءٍ منه، أما لما يصح كيلو البرتقال مثلاً بعشرين قرشاً فيقول: أخذت صندوقاً كبيراً وعصرته للأولاد، رخيص، فعند الرخاء يعصر الناس، والعَصْرُ لا يكون للفواكه فقط، بل يكون للزيت، للسمن، للزيت التي تُعصر من الذرة ومن غيرها، فالعصر له موادٌ أوليةٌ لصناعاتٍ كثيرة، لكن في سنوات الجفاف دعنا نأكل فقط.

الأكل إخواننا الكرام له فائدتان: القوت والاستمتاع، في الجذب تصبح الفائدة فقط هي القوت: أن تأكل ما يقوم به بدبك، أن تعصم نفسك من الجوع، في الرخاء الطعام يزيد على القوت الاستمتاع، والله عز وجل لأنه ودود أضاف للقوت الاستمتاع لأنه ودود يحبك، فأنت تأكل الرز لكن اللوز على الأرز هذا ليس قوتاً هذا استمتاع لكن جعله لك استمتاعاً في الطعام، لو أراد ربنا عز وجل أن يُقَيِّتَكَ لجعل المادة الرئيسية في الكون هي القمح وكل خبزاً طول حياتك وتنشع وانتهى الأمر، لكن جعل لك آفاقاً مؤلفة وأنواعاً متنوعة ليست قوتاً بقدر ما هي استمتاع، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَكُلُوْهُ هَنِيْئًا مَّرِيَّتًا (4)

(سورة النساء)

(مَرِيَّتًا) للقوت ينزل في المري وتقتات به، أما **(هَنِيئًا)** تستمتع به، فهنا **(فِيهِ يُعَاطُ النَّاسُ وَفِيهِ يَتَعِمَّرُونَ)** أي يأتي هذا العام الخير فيناسب الغيث من السماء بالماء أن نعصر الفواكه ونعصر المواد التي تُعصر لِيُستخرج منها الزيوت وغير ذلك فيكون عام خير وبركة، فزادهم في هذا العام مما علمه الله، هذا من إخبار الله له، ومع إخبار الله له هو مقتضى العقل والفهم، يعني ما دام أن السبع المجذبات انتهت، ما دام أن الرؤيا حددت أنها سبع إذا ماذا سيأتي بعدها؟ الرخاء، يعني مقتضى العقل يقول ذلك لكن يوسف عليه السلام معلم من قبل الله تعالى قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي (37)

(سورة يوسف)

فهو يتلقى علماً من الله تعالى، بهذا الشكل عَظُرَ أو أَوَّلَ، فهما الفرق بين التعبير والتأويل، أَوَّلَ يوسف عليه السلام رؤيا الملك وما أراد عليها أجراً ولا حتى خروجه من السجن، لم يطلب شيئاً أعطاهم التعبير لله تعالى رغم ما فعلوا به ورغم ما نكلوا به، والآن القصة ستعود إلى قصر الملك لِيُسمع الملك بتأويل الرؤيا ويطلب لقاء يوسف، وهذا ما نُؤخر الحديث عنه إن شاء الله إلى لقاء قادم.

والحمد لله رب العالمين.